المحاضرة 10: علم اجتماع التنمية

1- نشأة علم اجتماع التنمية:

نشأ علم اجتماع التنمية كاستجابة للتغيرات المفاجئة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية في أوروبا، تحديدا في ستينات القرن العشرين، ثم تطور ونما التخصص في غربي أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وكان ذلك كرد فعل إزاء فشل الكثير من الدراسات المتخصصة في السياسات التنموية، والتي كانت تقتصر على الجوانب الاقتصادية والتكنولوجية للمجتمع، حيث أن مسألة تحسين المستوى المعيشي والوصول بالمجتمعات إلى درجة الرفاه الاجتماعي كلها أفكار سيطرت على عدد من المفكرين الغربيين، بسبب الآثار الناجمة عن الحرب العالمية الثانية، من زيادة في السكان وارتفاع معدلات البطالة، وغيرها، ما وجه البحث السوسيولوجي إلى الاهتمام بما يحدث في المجتمعات الغربية، وما ساعد على ذلك التطور الحاصل في تقنيات البحث العلمي وخاصة دراسات المسح الاجتماعي، بما توفره من بيانات إحصائية، حول تخلف الشؤون الداخلية للمجتمع وخاصة تلك المتعلقة بالنمو والتنمية. (عبد الرحيم تمام أبوكريشة، 2003)

وتعتبر إسهامات كبار العلماء، أمثال "كارل ماركس"، "دوركايم" و"ماكس فبر" بمثابة القاعدة النظرية التي رسمت الطريق لغيرهم من علماء اجتماع التنمية من بعدهم، كونها شكلت في جانب منها تصورا نظريا وإمبريقيا لعملية التغير الاجتماعي، والتطور التاريخي للمجتمعات البشرية، وبالتالي تصورا لآليات حدوث التنمية الاجتماعية بطريقة غير مباشرة، فظهرت العديد من المحاولات التنظيرية في الغرب، تناقش قضايا التقدم والتخلف، من منطلقات أيديولوجية متباينة، بحسب الاختلافات الموجودة في المدارس النظرية السوسيولوجية العامة.

2- موضوع علم اجتماع التنمية:

إن علم اجتماع التنمية، هو أحد الفروع الحديثة النشأة من علم الاجتماع العام، يضطلع بدراسة الظاهرة التنموية بما تتضمنه من قضايا، التخلف والتقدم وغيرها، مستخدما مفاهيم ونظريات ومناهج علم الاجتماع العام.

وانطلاقا من مجال اهتمامه (التنمية) فإن هذه الأخيرة، تعني عملية تغيير واع، يحدث في المجتمع، من خلال المشاركة بين جهود الحكومة والمواطنين، بهدف الاستفادة من كافة الموارد المتاحة في المجتمع، وتحقيق الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية وفي كل المجالات الحياتية، ويكون ذلك وفق خطة مرسومة (إحسان حفظي، 2006)، وللتنمية عدة جوانب، سياسية، اقتصادية، ثقافية واجتماعية.

3- نظريات علم اجتماع التنمية:

انطلاقا من القاعدة السوسيولوجية العامة، ظهرت نظريات محدثة في علم الاجتماع، عملت على معالجة قضايا التنمية والتخلف أبرزها(إسماعيل قيرة وعلي غربي، 2001) :

3-1- نظرية مراحل النمو الاقتصادي: لصاحبها "وولت روستو"، الذي حاول أن يقدم بديلا رأسماليا للنظرية الماركسية في كتابه: مراحل النمو الاقتصادي-البيان اللاشيوعي-، حيث حاول إعطاء صورة عن تطور المجتمعات البشرية التي يمكن أن ينسب أي مجتمع من حيث مستوى تطوره الاقتصادي إلى إحدى المراحل الخمس: المجتمع التقليدي ثم المجتمع الانتقال بعدها مرحلة الانطلاق ثم مرحلة النضج وأخيرا مرحلة الاستهلاك الوفير.

وبطبيعة الحال المرحلة الخامسة هي صورة المجتمعات الرأسمالية المتطورة، وتخلف المجتمعات الأخرى مرده إلى تواجدها في مرحلة ما دون أخرى كونها مسألة وقت فحسب والوصول إلى التطور والتقدم لا يكون إلا وفقا، للمسار الرأسمالي الذي سبق وانتهجته الدول الرأسمالية الغربية على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

3-2- النظرية الانتشارية الثقافية الحضرية: وانطلقت هذه النظرية من فكرة مؤداها أن التنمية هي شكل من أشكال التغير الاجتماعي، تتم بواسطة الانتشار الثقافي من المركز، باتجاه المحيط، بمعنى أن حل مشكلة تخلف البلدان النامية يكمن في الانتشار لتلك الصفات النموذجية الثقافية من المركز (الغرب) باتجاه المحيط (البلدان النامية).

3-3- النظرية السلوكية: نظرية متأثرة بالاتجاه البنائي الوظيفي، مؤكدة على أن التنمية ترتبط بتوجهات الأفراد، من ناحية القيم، والسلوك، والحوافز، وعليه فالأبعاد السيكولوجية –السلوكية، ترتبط بتغيير الأفراد، وهذا هو السبب الذي دفع بممثلي هذه النظرية أمثال: "ماكليلاند" و"هيجن" إلى تأكيد أهيمة هذه الجوانب السيكولوجية في صنع دعامة أساسية للتنمية الاقتصادية، وبغيابها يحدث العكس. (مريم أحمد مصطفى عبد المجيد، 1987).

3-4- نظرية التبعية: القضية الأساسية في تحليلات نظرية التبعية، هي أنه لا يمكن فهم طبيعة النظم الاقتصادية، السياسية والاجتماعية في البلدان المتخلفة بمعزل عن تأثيرات العوامل الخارجية وخاصة تلك الحاصلة بسبب التوسع الرأسمالي، حيث ركزت هذه النظرية على إسهام العوامل الخارجية والتاريخية في صنع التخلف وإعادة إنتاجه، حيث يحدث بسبب اتصال البنية الاقتصادية للدول المتقدمة بتلك الموجودة في الدول المتخلفة، ما يؤدي إلى تحلل هذه الأخيرة واستنزاف فائضها بواسطة رؤوس الأموال الأجنبية، وعليه فلا تنمية بدون قطع علاقات التبعية بين العالمين المتقدم والمتخلف، وأهم روادها: "فرانك"، "كاردوزو"، "سانتوس" و"سمير أمين"(عبد الخالق عبد الله، 1986).